

الفقه الاسلامي - العلاقات الأسرية - ستر العورة - الدرس (٤ - ٥) : عورة المرأة بالنسبة للمرأة.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٢-١١-٢٩

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

الشهوة و الميل :

أيها الأخوة المؤمنون... لا زلنا في موضوع وجدتم أنتم أننا جميعاً في أمس الحاجة إليه ألا وهو موضوع العورات، وقد بينت لكم في درسين سابقين قبل الحديث عن أحكام العورة وأقسامها، بينت لكم أن الشيء الذي أمر الله به، أو نهى عنه، هذا الشيء يعد مصيرياً في حياة الإنسان، فإما أن يقوده إلى سعادة، وإما أن يقوده إلى شقاء أبدي.

وفي الشرع كما تعلمون شيء أمر الله به، وشيء نهى الله عنه، وشيء سكت عنه، فالذي سكت عنه هناك حكمة بالغة جداً، لا تقل عن حكمة الذي أمر به، وعن حكمة الذي نهى عنه، أما الذي أمر به فتقوم عليه سلامتنا وسعادتنا في الدنيا والآخرة؛ والذي نهى عنه سببٌ أساسيٌ لهلاكنا في الدنيا والآخرة، والذي سكت عنه لا يتعلّق لا إيجاباً ولا سلباً بحياتنا الدنيا، بسعادتنا في الدنيا والآخرة، إنما هو نوعٌ من ألوان الحياة الخسنة أو المترفة، كل عصرٍ، وكل قطرٍ، وكل بيئةٍ، وكل مستوى يحدد ملامح الحياة التي لا علاقة لها لا إيجاباً ولا سلباً بأمور الدين.

الشهوة والميل: هناك سؤال كثيراً ما يطرحه الناس، لماذا أودع الله فينا الشهوات؟ ما ذنبي أنا؟ ركب الله في كياني الميل للمرأة، وركب في كياني المرأة الميل للرجل، فإذا عبّر الإنسان عن ميلٍ فطريّ فيه أيكون عاصياً؟ أي كيف يحاسبنا ربنا وقد أودع فينا هذه الشهوات؟ هذا سؤال يطرحه كثيرٌ من الشباب، وقد يجيبون عنه في غيبة الشرع، هذه حاجة فطرية إن لم نفعل هكذا نتعقّد.

والشيء المؤسف أن معظم الأطباء النفسيين قد يوجّهون الشباب إلى شيء لا يرضي الله عزّ وجل، ولا يحلّ لهم في الشرع، لأنهم تعلموا في بلاد الغرب أن هذه حاجة أساسية في الإنسان، فإذا رواها بطريقةٍ أو بأخرى فقد توازن، وإن لم يروها فقد اختل توازنه، هذا كلام أهل الكفر.

بطولة الإنسان أن يبتعد عن أسباب المعصية :

نوّهت في درسٍ سابقٍ إلى أن الإنسان إذا أثير ولم يلبّ هذه الإثارة يقع الكبت، لكن عظمة الدين أنه أبعدنا عن كل المثيرات، حينما قال:

﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّنا﴾

[سورة الإسراء: ٣٢]

أبعدنا عن هذه الحالة غير الطبيعية، أن تعيش في جو من الإثارة، وأن تكبت هذه العواطف، هذه حالة مرضية، ليس فيها توازن، فلذلك غض البصر، وعدم صحة الأراذل، وعدم ارتياد الأماكن المشبوهة، كل ما من شأنه أن يقربك من المعصية فهو معصية، وهذه قاعدة: ما لا يكون الواجب إلا به فهو واجب، وما كان طريقاً إلى المعصية فهو معصية .



فالبطولة أن يبتعد الإنسان عن أسباب المعصية لا عن المعصية، ابتعاده عن المعصية بعد أن دخل في أسبابها شيء فيه مغامرة، ومغامرة، إذا نجا واحد فالأكثر يهلكون، إذا دخلت في أبواب المعصية ثم واجهت لبّ المعصية وجوهر المعصية قد ينجو، إنسان واحد ويهلك الآخرون، لكنك إذا امتنعت من الولوج في أبواب المعصية في الأصل فإن هذا الامتناع يضعك في حصن حصين. الجواب الأول: أن الإنسان خلق ليسعده الله إلى الأبد، هناك فرق بين أن يعطي الله المخلوق شيئاً، وبين أن يستحق المخلوق شيئاً، أنت إذا أردت أن تعطي نبتة صغيرة ماءً وفيراً قد تميتها، يا ترى الماء الذي تعطيه لهذه النبتة الصغيرة يجب أن يتناسب مع كرمك أم مع طاقة احتمالها، يجب أن يتناسب لا مع كرمك ولكن مع طاقة احتمالها.

الإنسان هو المخلوق الأول والمكرم، الذي أعدّه الله لسعادة لا نهاية لها مادام الإنسان قد أعدّ لسعادة لا نهاية لها. الحيوان سعادته محصورة، محدودة، غير مكلف، الحيوان يكفي أن يأكل هذا الحشيش الأخضر، هذه كل سعادته، وانتهى الأمر، تنتهي سعادته بتلبية شهواته، لا يحاسب عن شيء، لكن لا يرقى إلى مستوى الإنسان.

الملك يسبح، عقلٌ كله، ولكن لا ترتقي سعادته إلى مستوى الإنسان، لأنه ليس هناك شهوات يصارعها، وليس هناك صراعات، وليس هناك خيارات، خلق ليسبح الله عزّ وجل، ركّب من عقلٍ

فقط، يسعد بتسيحه، والحيوان يسعد بشهواته، وكلاهما غير مسؤولين وغير مكلفين ولا يرقيان أبداً لمستوى الإنسان.

سعادة الإنسان بالله عز وجل :

موضوع الشهوات وموضوع العورات موضوع متداخل، وخير معالجة للموضوعات ما ربطنا الجزئيات بالكلّيات، ما ربطنا النتائج بالمقدمات.

سؤال: أنا ما ذنبي؟ أودع الله فيّ هذه الشهوة، فلماذا أمرني بغض البصر؟ لماذا قال لي: هذا حرام، وهذا حرام، وهذا حرام؟ يا رب كنت في الأصل انزع منا هذه الشهوات وانتهى الأمر، هذا منطق ساذج.

الله جلّ جلاله خلقنا، الإنسان مخلوق وحيد، مكرم، مخلوق أول، قال الله عزّ وجل:

﴿ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْ يَخْلُقْهُنَّ ﴾

[سورة الأحقاف: ٣٣]



أرسل الله الإنسان للدنيا كي يسعد بقربه

ولكن خلق الإنسان من أجل أن يسعد بالله عزّ وجل، كل مخلوق يسعد بشيء مما سوى الله إلا أن الإنسان يسعد بالله عزّ وجل، فلكي يحتمل التجليات الإلهية في الآخرة، لكي يحتمل هذه السعادة التي لا حدود لها، أرسله إلى الدنيا، ليستعد لهذه السعادة، ليحصل موجبات رحمة الله، أرسله إلى الدنيا ليؤيّد طاقة احتماله، أرسله إلى الدنيا ليؤهل نفسه

لهذه السعادة التي ينفرد بها الإنس والجن من بين سائر المخلوقات، إذا الشهوة في ظاهرها توريط، لكن في حقيقتها دفع إلى الله عزّ وجل.

التقرب إلى الله عزّ وجل يعني هذا المخلوق، كيف يستطيع هذا المخلوق أن يتقرب إلى الله؟ لو أنه لا يحب شيئاً، ولا يكره شيئاً، لا يحب النساء، ولا يحب المال، ولا يحب العلو في الأرض، ولا يكره الجوع، ولا يكره الخوف، ولا يكره الذل، ما دام بالإنسان شهوات، إذا هناك شيء يسعده، وشيء يُزعجه، هذه البنية، بنية مخلوق، يسعد بأشياء، ويتألم بأشياء، الآن جاء التكليف، أودع فيه حُب النساء، وأمره أن يغض الطرف، الإنسان بهذه الطريقة يرقى إلى الله، أودع فيه حُب المال، وجعل الله طُرُقاً عديدة لكسب المال، لكن طُرُق كسب المال المشروع طرق قد تكون صعبة أحياناً، أما الطرق السهلة، الحرام، قد تكون سهلاً ليرقى بترك الحرام، وأكل الحلال، أي بشكلٍ مُلحّص، أقول

هذا الكلام كثيراً: أودع الله فينا الشهوات لنرقى بها مرتين، مرةً صابرين، ومرةً شاكرين، إلى الله عزَّ وجل، يمكن أن أقول: إن الشهوة قوةٌ مُحَرِّكة، قوةٌ دافعةٌ نافعةٌ يوم القيامة حتى يستحقُّ المؤمنون الجنة، يقولون:

﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ

﴿الْعَامِلِينَ﴾

[سورة الزمر : ٧٤]

لولا أن الله عزَّ وجل خلقنا في الأرض، وأودع فينا الشهوات، وكلفنا وأمرنا أن نعمل، وألا نفعل، لولا أن هناك شهوات، حينما خالفناها ارتقينا إلى الله، ولولا أن هناك شهوات حينما رويناها وفق منهج الله ارتقينا إلى الله، لما كُنَّا في الجنة.

لا تستغربوا أن يأتي عليكم جميعاً إن شاء الله وأنتم ترفلون في حُلل الجنة إن شاء الله، الجنة رجاؤنا، هناك عشرة أشخاص استحقوها يقيناً، هم العشرة المبشرون بالجنة، وما سوى هؤلاء نرجو الله عزَّ وجل، أن نكون من هؤلاء، لكن لا تستغربوا أن تُدركوا في لحظةٍ من لحظات الجنة أنه لولا الشهوات التي أودعها الله فينا لما كُنَّا في الجنة، قد يقول المؤمن وهذا معنى قوله تعالى:

﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ

﴿الْعَامِلِينَ﴾

[سورة الزمر : ٧٤]

كيف تتقربُ إلى الله؟ لا يوجد طريق إلا أن تُحب شيئاً، أن تتمنى أن تقترب منه، والأمرُ يمنعك عنه، فتقول: إني أخاف الله رب العالمين.

الزواج و غُضِّ البصر :

من باب بيان فضل الله علينا، أنت تُصلي في اليوم خمس مرات، بل هل تعلم أنك كلما رأيت في الطريق امرأةً وغضضت عنها بصرك تُصلي؟ أراد الله عزَّ وجل أن تكون المناسبات للاتصال به كثيرةً، فأمرك بغض البصر، ولئلا تكون محروماً سمح لك بالزواج، فالزواج يمنع عنك الحرمان، وغض البصر، يرقى بك إلى الواحد الديان.



فلسفة الأمور مُريحة جداً، الإنسان إذا أخذ أوامر الشرع هكذا في نهاياتها، في حيثياتها، دون أن يربطها بكليات العقيدة، بفلسفة الوجود، بحقيقة الكون، بحقيقة الحياة، بجوهر الإنسان، يقع في متاهات، تنشأ معه آلاف الأسئلة، ولا يدري لها جواباً، حينما تمشي في الطريق يجب أن تعلم أن الله هو الذي أودع فيك حب النساء، هو هو، وهو الذي أمرك بغض البصر، من أجل أن يكون غضُّ البصر طريقاً إلى الإقبال عليه دائماً وهذا ما أكدته لكم كثيراً، قد تتفق الشرائع مع القوانين.

اتفاق الشرائع مع القوانين وافتراقهما :

السرقه محرمة في الشرع، ومحرمة في القانون، فمن ترك السرقة، ممكن لأنه يخاف من السجن والمسؤولية، ولك أن تقول: يخاف من الله، ما الحقيقة؟ الله أعلم، لكن الذي يغضُّ بصره عن محارم الله يقيناً يخاف من الله، لأنه ليس في الأرض كلها تشريع أو قانون يأمر بغض البصر، إذاً هنا افتردت الشريعة عن القانون.

الصيام: بإمكانك أن تدخل البيت في أيام الصيف الحارة، وأن تدخل الحمام بعيداً عن نظر أولادك وزوجتك، وأن تشرب الماء النмир البارد، من العداد رأساً، ولا يدري بك أحد، إذاً الصيام عبادة الإخلاص، ما دمت تمتنع عن أن تشرب قطرة ماء إذاً أنت تُراقب الله عزَّ وجل، فحكم العبادات أحياناً من أجل أن تعلم أنك تحب الله، من أجل أن تعلم أنك تعلم أن الله يُراقبك، من أجل أن ترتفع معنوياتك، من أجل أن تُحس أنك في رضى الله عزَّ وجل، إذاً لا تستغرب، أنه يا أخي ما هذه الحياة؟ كلها صراع نفسي، وفي الطريق نساءً كاسيات عاريات، والله يأمرني أن أغض بصري، وضع غير طبيعي، لا، هذا هو الطبيعي، لأنه خلقك للجنة، وثن الجنة ضبط الشهوات، لأنه خلقك لحياة أبدية لا تنتهي، وأن ثمن هذا كله الجنة:

﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴾

[سورة النازعات : ٤٠]

فأنا أتمنى دائماً أن أوضح لإخواننا الشباب كما أنه ليس في الإسلام حرمان ليس فيه تفلت، الله قال:

﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ ﴾

[سورة الحديد: ٢٧]

هم كتبوها على أنفسهم، هم اجتهدوا فأخطؤوا، والدليل أنهم أخطؤوا:

﴿ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ﴾

[سورة الحديد: ٢٧]

لم يتمكنوا، لأنها خلاف الفطرة، الترهُّب، الرهينة، خلاف فطرة الإنسان، لذلك القصص التي تروى عن الرهبان في انحرافاتهم الجنسية لا تعدُّ ولا تحصى، لأنهم ألزموا أنفسهم ما لا ينبغي أن يكون، ما كتبناها عليهم، والدليل أنهم:

﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾

[سورة الحديد: ٢٧]

فالإسلام دين الفطرة، فكما أن الإسلام ما كلفك ما لا تطبيق، كذلك ما أطلقك إلى حيث تريد، هناك منهج، مثلاً طريق، الطريق عريض، لك حرية الحركة في حدود هذا الطريق، لكن بعد الطريق هناك ممنوعات. فأجمل حياة يعيشها حياة القيم، حياة المنهج، حياة الدستور، انظر إلى السيارة أروع ما تكون وهي على الطريق المعبد، لأن هذا الطريق صنع لها، وهي صنعت له، فإذا سارت على الطريق المعبد تجدها كلها مرتاحة، لا يوجد أصوات أبداً، أما إذا نزلت إلى الطريق الوعر فتحس أن هذا الطريق ليس لهذه السيارة، وهذه المركبة ليست لهذا الطريق.

ربط الجزئيات بالكليات :

أردت من هذه المقدمة أن نربط الجزئيات بالكليات، لا أن نبقي في هذه حرام، لماذا حرام؟ أنت تعيش في مجتمع، هناك أناس ليس لديهم وازع ديني إطلاقاً، أما آتاهم الله منطقاً، عندهم عقل، فإذا ملكت الحجّة، بالمناسبة: ما اتخذ الله ولياً جاهلاً، لو اتخذته لعلمه :

﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ﴾

[سورة الأنعام: ٨٣]

أي يوجد قوة للمؤمن، قد تكون غير مادية، قد يكون مؤمناً أي من أقل المراتب في المجتمع، قد يكون موظفاً صغيراً جداً، ضارب آلة كاتبة، حاجباً، لكن قوته نابعة من حجته، لما ربنا قال:

﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ﴾

[سورة الأنعام: ٨٣]

لكل مؤمنٍ من هذه الآية نصيب، قوة، يجوز حاجب في دائرة يناقش المدير العام المتفلسف، الذي عقيدته فاسدة، هذا الحاجب أقوى منه في المناقشة، المؤمن يعلم لماذا يغضُّ بصره، يعلم لماذا يصوم، يعلم لماذا يصدق، يعلم لماذا يتكلم بالحق، فنحن نريد مؤمناً متمكناً، لا أريد مؤمناً يطبق الإسلام إلى حين، لو أنك عرفت الأمر الشرعي من دون حيثيات، من دون أن تربطه بالكلّيات، من دون عقيدة صحيحة، يمكن أن تطبق الأمر لكن مقاومتك هشة، أي أدنى ضغط، أو أدنى إغراء، تجد مقاومتك قد انهارت، لذلك كلّ إنسان يربي، كلّ إنسان يبني إخوانه بناء، إذا بنى النفوس بناء صحيحاً، بناء علمياً، بناء منطقياً، على أساس من العقيدة الصحيحة، تجد هذا الأخ قوياً، أي قوي في دينه، أينما ذهب مستقيم، أي أنت عندما تعرف أن هذا الأمر مربوط بهذه العقيدة الصحيحة، مربوط بهذه الكلّية، أي أنت مؤمن بخالق الكون، أنت مخلوق للجنة، والجنة ثمنها ضبط الشهوات، الشهوات أودعت فيك لترقى بها إلى الله، أودعت فيك، هذا الذي أتمنى أن يكون واضحاً للجميع.

قوة الشهوة والوقوف أمامها :

قوة الشهوة والوقوف أمامها: كل إنسان يبتهرم بالشهوات، يقول: يا أخي ليس بيدي، لكن الله أودعها فيك، وقوية هذه الشهوات



أي مثلاً تصوّر طناً من الحديد ألقيناه من عشرة آلاف متر، هذا يتسارع، ماذا يقف في وجهه؟ طبق ورق؟ أعوذ بالله، قماش؟ مستحيل، سقف يحطمه كذلك الشهوات، قوة اندفاع شديدة، لا يقف أمام الشهوات إلا يقين، إلا إيمان قوي، إلا عقيدة صحيحة، إلا اتصال بالله، حينما تستقيم، وتتصل، تصبح كالجبل قوياً، تحس أنه يوجد عندك مقاومة كبيرة

جداً، لذلك المؤمن الصادق لا يضعف لا أمام أقوى المغريات، ولا أمام أقوى الضغوط، لا الضغط يؤثر فيه، ولا الإغراء يؤثر فيه، التبر عنده كالتراب، والحياة والموت سواء، قال له:

﴿ فَاَفْضُ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَفْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾

[سورة طه : ٧٢]

الحقيقة نحن لا نقدر أن نستعيد مجد أمتنا، ولا نرجع كما كنا قادة للأمم، النبي الكريم جاء إلى قوم هم رعاة للغنم، فجعلهم قادة للأمم، من رعاة غنم لقادة أمم، بعقيدة صحيحة، وبالالتزام صحيح، أصعب شيء في مجتمعاتنا الإسلامية أن يظن المسلمون أن الدين صوم وصلاة، الدين منهج، منهج طويل عريض، فيه كل شيء، فيه تفصيلات لكل شيء، فهذا المنهج. مرة قرأت كتاب: الإسلام إما أن تأخذه كله أو فدعه كله، أنا لا أوافق على هذا العنوان، أوافق على الشق الأول، خذته كله، ولن تقطف ثماره إلا إذا أخذته كله، هذا أصح، خذته كله، بأدق تفاصيله.

إيداع الشهوات في الإنسان ليرقى إلى ربه صابراً و شاكراً :

إذاً ملخص المقدمة أن الله أودع فينا الشهوات لنرقى بها صابرين بغض البصر، وشاكرين بنعمة الزواج، إلى رب الأرض والسماوات، أودع فينا الشهوات، المال، لنرقى بحب المال صابرين بإنفاقه، شاكرين بكسبه، أودع فينا حب العلو في الأرض لنرقى به صابرين، بترك معاونة الظلام، ولنرقى شاكرين بخدمة الضعيف، وهكذا، كل الشهوات يمكن أن توظف في الحق.

أخ كريم.. استوقفتني في الدرس الماضي، وقال لي - أنا والله أعجبتني ورعه، وأعجبتني غيرته على دينه-: أنا محامي، قلت له: أنعم وأكرم، قال لي: لماذا بعض العلماء يذمّون هذه المهنة؟ قلت له:

والله أنا ما فعلتها في حياتي لأنني أعتقد أنّ أية مهنة لا تستعصي على الالتزام بالدين، والمحامي المؤمن الذي يضع كلّ علمه، وكلّ ذكائه، وكلّ طلاقه لسانه، وكلّ ثقافته القانونية الواسعة في خدمة الضعيف، ويأخذ أجره حلالاً جُعالةً، هذا يرقى إلى الله، قد يرقى المحامي، قد يستحق دخول الجنة لأنه محامي، أعتقد يجب أن توظّف كلّ شيء في الحق، الآن حتى الذين آتاهم الله أصواتاً عذبة، ليس من الممكن أن يقرؤوا القرآن وأن تصبح أصواتهم خالدة إلى آلاف السنوات؟ مرة أنا سمعت أذاناً لمؤذن، أعتقد أنه مات قبل خمسين سنة بمصر، قلت: هذا الصوت بقي مستمراً، الصوت الحسن يمكن أن يوظّف في الحق، في تلاوة القرآن، في الأذان، في مدح النبي عليه الصلاة والسلام، كل ما أودعه الله في الإنسان يمكن أن يوظف في الحق وفي الباطل، في الخير، وفي الشر.

إذاً من أجل أن تربط غضّ البصر
وحفظ العورة، عدم إبداء العورة وعدم
إطلاق البصر إلى العورة، من أجل أن
تربط هذا الحكم الجزئي الصغير بكلية
كبرى في الدين، اعتقد دائماً أن الله جلّ
جلاله خلقك للجنة، وهذه الدنيا دار دفع
الثلث، كيف العام الدراسي، الآن الطالب
الجامعي، مقاعد الجامعة مريحة؟ لا
والله، مقعد خشبي عرضه خمسة



أية مهنة توظفها للحق ترقى بك عند الله

وعشرون سننيمتراً، وقائم لا يوجد به إسفنج ولا جلد والتدفئة أقل من الوسط، وبعض البلور مكسّر دائماً، في أيام البرد لا يوجد تدفئة جيدة، ولا مقعد مريح، ولا يوجد أثناء الدرس بعض من الموالح، أو قليل من العصير مثلاً، لا يوجد إلا محاضر أمامك، لا يوجد غير كلام الصراحة. لكن سنة سنتين، ثلاث، أربع بهذه الجامعة، أصبح طبيباً مثلاً، أو مهندساً، عندما كان لهذه المهن الراقية دخل كبير، فبعدما أخذ الشهادة، وأصبح له مكانة اجتماعية، وركّز وضعه بالتعبير التجاري، واشترى بيتاً، وجاءه دخل كبير، لولا هذه السنوات التي قضاها في الجامعة، اثنتا عشرة ساعة باليوم بلا غداء، أكثر الأيام بلا غداء، اثنتا عشرة ساعة، وكل محاضر له طبع خاص، وظائف، حلقات بحث، ومفاجآت بالامتحانات، ومعركة بين الأستاذ والطلاب، هم يتوقعون قسماً فيفاجئهم بقسم، وسلم صعب، ولا يمكن أن تراجع ورقتك، لولا هذه المتاعب خلال ست أو سبع سنوات، لا يقال لك: الدكتور فلان تفضل، يقول لك: إيكو بخمسئة ليرة، هذا غير تخطيط، تحتاج لإيكو، وتخطيط، وكذا، لولا هذه المتاعب ما كنت في هذا المستوى، طبعاً أنا أضرب أمثلة من واقع الحياة. ولولا أنك جنّت إلى الدنيا، ووضعت فيك الشهوات، حب المال، حب النساء، حب العلو في الأرض،

وجاء الشرع، غضُّ بصرِك، ولا تصافح، ولا تخلُّ بأجنبية، وهذه حرام، وهذه حلال، وهنا غض بصرِك، والخذ عورة، وهذه، منهج طويل عريض تفصيلي، وهذا الكسب حرام، وهذه شبهة الربا، وسألت، وجلست بمسجد، وعلى ركبك جلست ، و كان الدرس ساعة ونصف، ما كنت ترقى إلى هذا المستوى.

لذلك هذا الدرس جزئيته صغيرة أما كليته فكبيرة، أنت حينما تطبِّق منهج الله عزَّ وجل من أجل أن تكون في عداد السعداء في الآخرة.

عورة المرأة بالنسبة للمرأة :

عورة المرأة بالنسبة للمرأة الآن، درسنا هذا اليوم عورة المرأة بالنسبة إلى المرأة، أي أكثر الناس يظنون أنه لا يوجد عورة بين النسوة، امرأة على امرأة، أي نحن وهذا ما أعتقد اعتقاداً جازماً أن مجتمعنا والحمد لله مجتمع مسلم، مجتمع نظيف، المجتمع المؤمن مجتمع أرقى، مجتمع رواد المساجد الملتزمين، هذا مجتمع أرقى وأرقى، لذلك الانحرافات الأخلاقية إذا ذكرناها لا أعتقد أن من بين الحاضرين من هو واقع بها، لأنه شيء بعيد جداً.

شخص يدرس جامعة تسأله: هل تقرأ وتكتب؟ أنا معي بكالوريا ماذا أقرأ وأكتب؟ كلام لا معنى له، ما وصل إلى الجامعة حتى أخذ البكالوريا، فنقول لأحد: أخي توجد انحرافات؟ هذا أغلب الظن بعيد جداً عن رواد المساجد، عن مجتمع المؤمنين الصادقين، ولكن هناك انحرافاً بين النساء سببه التكتُّف، وهناك انحراف بين الجنس الواحد اللواط و هو معروف، والسحاق معروف، فالانحرافات الجنسية في الجنس الواحد سببها عدم التقيد بأوامر الله عزَّ وجل.

فالدرس اليوم عن عورة المرأة بالنسبة إلى المرأة، إما أنها قريبة، وإما أنها أجنبية، ما معنى أجنبية؟ هل معنى هذا أن معها جواز سفر؟ لا ولكنها ليست قريبة، أو فاجرة، أو كافرة، أربع نساء؛ قريبة، أجنبية، فاجرة، كافرة.

الفاجرة قد تكون هويتها مسلمة في الأصل، ولكن هذا الانتماء التاريخي لا قيمة له إطلاقاً، أما هي ففاجرة، ليست منضبطة، هذه لها حكم.

والكافرة الكتابية، هذه لها حكم، والقريبة، والأجنبية، الأجنبية ليست قريبة جارتنا، أما القريبة فأخت، أم، عمّة، خالة، بنت أخ، بنت أخت.

فالقريبة، والأجنبية، لما جمعنا بين القريبة والأجنبية معناها القرب النسبي لا قيمة له في هذا الموضوع، القريبة، أو الأجنبية، كلاهما واحد، لا يوجد فرق بين جارتني وبين عمتي، فيما بين المرأة والمرأة فقط، درسنا اليوم عورة المرأة بالنسبة إلى المرأة.

قال: فلهما لكلا المرأتين، النظر من المرأة إلى المرأة إلى سرتها فما فوق، وإلى ما تحت ركبتيها، لأن عورة المرأة بالنسبة إلى المرأة ما دون سرتها إلى مادون ركبتيها، فالسرة ليست من العورة، والركبة من العورة، أي أن عورة المرأة بالنسبة إلى المرأة كعورة الرجل بالنسبة إلى الرجل.

الأحاديث التي حددت عورة الرجل مع الرجل هي نفسها حددت عورة المرأة مع المرأة :

وقد اتفق العلماء على أن الأحاديث التي حددت عورة الرجل مع الرجل هي نفسها بيان لعورة المرأة مع المرأة، قال صلى الله عليه وسلم:

((لا يَنْظُرُ الرَّجُلُ إِلَى عَوْرَةِ الرَّجُلِ وَلَا الْمَرْأَةُ إِلَى عَوْرَةِ الْمَرْأَةِ.....))

[مسلم عن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ عَنْ أَبِيهِ]

طبعاً هذه القريبة، والأجنبية، الحاصل أنه لا يجوز للأُم أن ترى من ابنتها، ولا للابنت أن ترى من أمها، ولا للأخت أن ترى من أختها، ولا للمرأة أن ترى من عمتها، أو خالتها، أو بنت أختها، أو بنت أخيها، أو إحدى النساء، قريباتٍ كَنَّ أو أجنبيات، شيئاً مما بين السرة والركبة، لا في الحمام ولا في غير الحمام، ولا وقت خلع الثياب، ولا في الاستقبالات، والاحتفالات، ولا في عمل المنزل، ولا في تنظيفه.. هذا الحكم الشرعي. فإذا كشفت إحداهن، شيئاً من عورتها وأثمت بهذا الكشف، لا يحلُّ للباقيات النظر إليها أبداً، بل يجب عليهن الإنكار عليها، ويجب عليهن منعها من إبداء شيءٍ من عورتها، وإن أصرت إحداهن على كشفها، لا يجوز الجلوس وهي كاشفة عورتها، وقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الناظر والمنظور إليه.

نحن نتمنى أن يلتزم الفريقان، الناظر والمنظور، فإذا أحلَّ المنظور على الناظر أن يَغُضَّ البصر، عليه أن ينصح، عليه أن يَغُضَّ البصر.

مرة ثانية، وثالثة، ورابعة، هذه الأحكام للأسوياء، للإنسان الطبيعي، أما لو أنه خُشيت الفتنة من نظر امرأة مريضة، أو منحرفة، أو فاسقة، أو فاجرة، إلى امرأةٍ سوى ما بين السرة والركبة فلا يجوز، الوضع الطبيعي، المألوف، المرأة السوية التي تمثل الخط العريض في المجتمع، هذا هو الحكم، أما في عدد قليل، نسب قليلة، منحرفة المزاج، الاتجاه غير سليم، فهذه المرأة لا يجوز لها أن تبدي حتى لامرأةٍ أخرى قريبةٍ أو غير قريبةٍ ما فوق السرة، وما تحت الركبة.

ما حلَّ للمرأة النظر إليه حلَّ مسه :

والحكم الذي قلته لكم سابقاً ما حلَّ للمرأة النظر إليه حلَّ مسه؟ أي ممكن بنت تتظف ابنتها فيما سوى العورة في الحمام، ممكن الشيء المسموح النظر إليه مسموح مسه بلا شهوة، فإذا خُشيت الشهوة حُرِّم مسه، وحُرِّم النظر إليه، مع وجود الشهوة، مع خوف الفتنة، هناك أحكام أخرى، يقول عليه الصلاة والسلام:

((...وَلَا يُفْضِي الرَّجُلُ إِلَى الرَّجُلِ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ وَلَا تُفْضِي الْمَرْأَةُ إِلَى الْمَرْأَةِ فِي الثَّوْبِ الْوَاحِدِ...))

[مسلم عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ عَنْ أَبِيهِ]

كما أنه لا يجوز أن يتلامس الجسدان للذكور، لا يجوز أن يتلامس الجسدان للإناث، الحكم نفسه، لأن فيما بين الذكور انحرافاً معروفاً، وفيما بين الإناث انحرافاً معروفاً..

تحريم وصف المرأة امرأة أخرى أمام زوجها :

يوجد عندنا حكم مهم جداً هو أن المرأة إذا رأت امرأة، الآن انظر، أكثر الأسر الإسلامية أين كنتم؟ في بيت فلان، ماذا صار؟ الزوج عنده فضول، ماذا رأيتم؟ والله عندهم بنت جميلة جداً، صفيها لنا؟ قالت: كذا و كذا، قال: لا يجوز لمرأة أن تصف امرأة لزوجها إطلاقاً، طبعاً يوجد معها دليل، يقول عليه الصلاة والسلام، فيما ورد في الصحيحين:

((لَا تُبَاشِرُ الْمَرْأَةُ الْمَرْأَةَ فَتَنْعَتَهَا لِزَوْجِهَا كَأَنَّهُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا))

[متفق عليه عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم]

أنا أقول لكم: لو أن امرأة وصفت امرأة لزوجها ذهب خيال الزوج إلى صفات أعلى بكثير مما وصفت. الإنسان ينزع نحو الكمال دائماً، لذلك النبي عليه الصلاة والسلام حينما رأى زيد الخيل، وهذا رجل كان من أصحاب المروءة في الجاهلية، النبي أعجب به، قال له: من أنت؟ قال له: أنا زيد الخيل، قال له: بل أنت زيد الخير، لله درك يا زيد، ما وصف لي شيء فرأيتك إلا رأيتك دون ما وصف، إلا أنت يا زيد.



هذه قاعدة، يقول لك: جلسنا في مكان جميل جداً، وإذا رأيته فنقول له: والله ليس لهذه الدرجة، لم يطر عقلمنا، الوصف دائماً أكبر بكثير من الواقع، لأن هذا من عجز اللغة، اللغة لماذا هي عاجزة؟ تقول: كبير، ما معنى كبير بالنسبة للمتكلم؟ أي إذا إنسان دخله محدود، يقول لك: فلان غني، يجوز هذا الغني مع الغني الحقيقي فقير، لكن كلمة

غني من إنسان فقير تختلف عن كلمة غني من إنسان غني، فمن عجز اللغة أنها لا تُعطي الحجم حقيقتها.

لذلك حينما تصف امرأة، الأصل محرم، لكن لو أنها وصفت لا يقف الزوج في تصوّره عند حدود الواقع، بل قد يشتط خياله إلى أبعد من الواقع، هذا الذي حرّمه الشرع، إذاً لا يجوز، قال: إذا جاز للمرأة أن تنظر إلى امرأة أخرى، قريبة أو أجنبية، في تلك الحدود الضيقة، التي سمح بها الشرع، إذا

جاز لها ذلك، فلا يجوز لها أن تصف ما رأت لزوجها أو قريبها أو لأجنبي إطلاقاً. لذلك أكثر الأسر يحضرون أعراساً، يتكلمون بعد العرس، فلانة كذا و كذا، لو أنهنّ تكلمنّ على مسمع الزوج فهذا حرام، حرامٌ حرمةً قطعيةً أن تصف امرأةً لزوجها فكأنه ينظر إليها. يوجد عندنا استثناء واحد، من يعرف هذا الاستثناء؟ الخاطب، أن الخاطب له حق أن يراها مباشرةً، فإذا وصفت له أقل من الرؤية، الخاطب من حقه أن يراها، لذلك إذا ذهبت امرأة لتخطب لابنها، ووصفت له مخطوبته، الأمر مشروع لا شيء عليه، لكن لا يجوز أن تصف له هذه الفتاة أمام أخيه المتزوج، ليس له علاقة، هذه دقة الشرع، تصف الأم لابنها مخطوبته، دون أن ينتقل هذا الوصف إلى آخرين.

لا يحل للمرأة أن تبدي زينتها أمام المرأة الفاجرة أو الكافرة :

قال: أما الفاجرة، الفاجرة قد تكون بالهوية مسلمة، لكنها فاجرة، فاسقة، قد تكون زانية، قد تكون متقلّبة من كل الشرائع تقريباً، قال: هذه الفاجرة لا يحل للمرأة أن تبدي أمامها زينتها، لا يحل للمرأة المسلمة أن تبدي زينتها للمرأة الفاجرة، لأن الفاجرة ليس عندها قاعدة، المسلمة إذا رأت مسلمة، المسلمة لها زوج، و زوجها معلمها، وأبوها معلمها، وأمها علمتها، أي المسلم يغلب عليه الورع، يغلب عليه الانصياع لله عزّ وجل، فحينما تبدو امرأة أمام امرأة، أغلب الظن أنها لن تصفها للآخرين، لكن هذه المرأة الفاجرة إذا نظرت إلى زينة امرأة مسلمة، ربما وصفتها للأجانب، تصور امرأة ماشية بالطريق وهي محجّبة، وقد وصفت عضواً عضواً للأجانب، ما قيمة هذا الحجاب؟ يعرفونها من الداخل هم حسب الوصف، إذا ما قيمة حجاب المرأة إذا رأتها فاجرةً ووصفتها للأجانب؟

الفاجرة، لا يحل للمرأة المسلمة أن تبدي أمامها زينتها، لأنها تصفها عند الرجال، فلا تضع جلبابها ولا خمارها عندها، لذلك أنا والله أستمع إلى أخوات مؤمنات يحضرنّ أعراساً، ويرتدين ثيابهنّ الخارجية تماماً، هذا موقف سليم، لماذا؟ قد يكون في هذا العرس امرأة فاجرة، القصد حضرن ولبين الدعوة، فالمرأة المسلمة تبقى في ثيابها المحتشمة في الأعراس، أما هذا التقليد أن تخلع ثيابها الخارجية، وأن تبدو في أبهى زينة ولا تعلم من هنّ المدعوّات، فإن كان من بين المدعوّات فاجرة، الهوية مسلمة لكن فاجرة، هذه الفاجرة من طبيعتها أن تتكلم لأن الشيطان يؤزها أزا الشيطان، لأنها مع الشيطان، والشيطان يُغري بكل معصية، أنا الذي أتمناه أنه حتى في الاحتفالات أن يكون المدعوون قد انتقاهم الداعي انتقاء جيداً، فإذا كان الانتقاء عشوائياً فيجب أن تبقى المرأة المسلمة في الحدود التي لا تبدو زينتها أمام الفاجرات، الآن الدليل، قال تعالى:

﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ

إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ ﴾

[سورة النور : ٣١]

أين بيت القصيد، أين الشاهد؟ أو نسائهن.

تحريم خلع المؤمنة ثيابها بين يدي مشرقة أو كتابية :

ورد في رد المحتار في تفسير قوله تعالى "أو نسائهن" أي الحرائر المسلمات، لأنه ليس للمؤمنة أن تتجرد، أي أن تخلع ثيابها بين يدي مشرقة أو كتابية، هذه معنى أو نسائهن ، والشيخ النابلسي له كتاب اسمه "هدية ابن العماد" يقول: " لا يحل للمسلمة أن تتكشف بين يدي يهودية، أو نصرانية، أو مشرقة أبداً، هذا تفسير قوله تعالى أو نسائهن" . وقال ابن كثير: " أو نسائهن، أي ألا تظهر بزینتها أيضاً للنساء المسلمات دون نساء أهل الذمة، أي الكتابيات، لئلا تصفهن لرجالهن، وذلك وإن كان محذوراً في جميع النساء إلا أنه في نساء أهل الذمة أشد".

فيغلب الظن أن المرأة المسلمة لا تصف المرأة المسلمة لزوجها، أما الكافرة، والفاجرة، فتصفيها لزوجها، إذا يجوز للمرأة المسلمة المؤمنة أن تظهر زينتها لمن؟ لامرأة مسلمة مثلها، أما لغير المسلمة فلا يجوز، الكافرة لا يجوز، الفاجرة لا يجوز والحديث الشريف:

((لا تُبَاشِرُ الْمَرْأَةُ الْمَرْأَةَ فَتُنَعِّتَهَا لِزَوْجِهَا كَأَنَّهُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا))

[متفق عليه عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم]

سيدنا عمر بن الخطاب كتب إلى أبي عبيدة بن الجراح، وقد بلغه أن في الشام حمامات عامة قديماً، هذه القصة قديمة جداً، من عهد سيدنا عمر، قال له: " أما بعد، فإنه بلغني أن نساء من نساء المسلمين، يدخلن الحمامات مع نساء أهل الشرك، فإنه من قبلك لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن ينظر إلى عورتها إلا أهل ملتها".

هذا كلام سيدنا عمر لأبي عبيدة بن الجراح.

وقال الإمام مجاهد في تفسير قوله تعالى: " أو نسائهن " نسائهن المسلمات، ليس المشركات من نسائهن، وليس للمرأة المسلمة أن تتكشف بين يدي مشرقة، ولا يحل لامرأة غير مسلمة أن ترى من المرأة المسلمة زينتها أو مكان الزينة .

وروي عن مجاهد أيضاً قال: "لا تضع المسلمة خمارها عند مشرقة، لأن الله تعالى يقول: أو نسائهن فليست المشركة من نسائهن".

كم دليل أصبحوا؟ سبعة أدلة تقريباً، وفي تفسير الخازن: "أو نسائهن، أي المؤمنات من أهل دينهن" أراد أنه يجوز للمرأة أن تنظر إلى بدن المرأة إلا ما بين السرة والركبة، ولا يجوز للمرأة المؤمنة أن تتجرد من ثيابها عند الذمية، أو الكافرة ، لأن الله تعالى قال: أو نسائهن، والذمية أو الكافرة ليست من نسائنا، ولأنها أجنبية في الدين فكانت أبعد من الرجل الأجنبي .

هذا الموضوع الذي هو في الترتيب الثالث عورة المرأة بالنسبة إلى المرأة وكنا قد أخذنا في الدرس الماضي عورة الرجل بالنسبة إلى الرجل.

والدرس الأول عورة الرجل بالنسبة إلى المرأة، بقي الموضوع الأخير وهو عورة المرأة بالنسبة إلى الرجل، هذا في الدرس القادم إن شاء الله.

والحمد لله رب العالمين